تذكير العقلاء بفضل خلق الحياء (الحياء كله خير)

الحمد لله الذي زين الإنسان بزينة العقل، وكرمه بنعمة الأخلاق، وجبله على حب الخير، والفطرة السوية، وزينه بزينة الحياء، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين، وحبيب الذاكرين، يحب أن يرى من عباده محاسن الأخلاق ومعاليها، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا سيد الأولين والأخرين، وخير من حقق خلق الحياء، حياء مع ربه، وحياء مع أهله، وحياء مع صحبه، وحياء مع أمته بأبي وأمي أنت يا رسول الله

صَلّى عليكَ اللهُ يا خيرَ الورَى ... ما حنَّ مشتاقٌ إلي رؤْيَاكَا

وعلى صحابتِك الكرامِ جميعِهِم ... والتابعينَ وكُلِّ مَن وَالاكَا

أَنْتَ الَّذِي لَمَّا رُفِعْتَ إِلى السَّمَا ... بِكَ قَدْ سَمَتْ وَتَزَيَّنَتْ لِلِقَاكَا

أَنْتَ الَّذِي مِنْ نُورِكَ البَدْرُ اكْتَسَى ... وَالشَّمْسُ قِنْدِيلٌ أَمَامَ ضِيَاكَا

نَادَيْتَ أَشْجَارًا أَتَتْكَ مُطِيعَةً ... وَشَكَا الْبَعِيرُ إِلَيْكَ حِينَ رَآكَا

وَالمَاءُ فَاضَ بِرَاحَتَيْكَ وَسَبَّحَتْ ... صُمُّ الحَصَى لِلَّهِ فِي يُمْنَاكَا

وَالجِذْعُ حَنَّ إِلَيْكَ حِينَ تَرَكْتَهُ ... وَعَلَى سِوَاهُ أُوقِفَتْ قَدَمَاكَا

مَاذَا يَقُولُ المَادِحُونَ وَمَا عَسَى ... أَنْ يَجْمَعَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مَعْنَاكَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَمَ الهُدَى ... مَا اشْتَاقَ مُشْتَاقٌ إِلَى رُؤْيَاكَا

وبعد أيها الأحباب موعدنا اليوم عن خلق من أخلاق الإسلام ونبي الإسلام علية الصلاة والسلام ألا وهو خلق الحياء.

الحياء لفظه ومعناه ومواضع ذكره في القرآن

الحياء من الحياة ومن المحيا وهو الوجه، وقيل من الانقباض والانزواء، ومعناه قبض الوجه واحمراره خجلا من موقف مخجل، وهو انقباض الجوارح عما يغضب

الله، الحياءُ الذي هو ضد الوقاحة هو من الامتلاء بالغضاضة والطراءة والحس المرهف المتمثل في سرعة التأثر.

وقد ورد لفظ الحياء في كتاب الله في توصيف مشهد ابنة شعيب، في رسالة لبنات الأمة المحمدية، أن يكن على نهج وأخلاق تلك البنية التي ازدانت بالحياء، فكان ثمرة حيائها، أن ساق الله لها نبي خلد ذكره، وخلد القرآن ذكرها بأحرف من نور تتلى إلى قيام الساعة، قال الحق ﷻ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص)، والموقف يدل على حياء موسى عليه السلام وجمال خلقه، فموسى من جمال خلقه، رأي إمراتين تريدان أن تسقى، ولا يملكان من القوة والفتوة ما يؤهلانهما للزود والمزاحمة، والمرأة بطبعها ضعيفة، فما بالك بفتاة تربت في بيت أدب وعلم وفكر ودين، فرأى موسى الموقف، فانتظر حتى ذهب القوم، ورفع الصخرة من على البئر التي لا يرفعها إلا العشرة من الرجال، ولعل في موقف موسى عليه السلام نبل لا يضاهيه نبل

إن حياء موسى وابنه شعيب موقف حكاه القرآن بأحرف من نور

عن قوم قلت بل قل انعدمت فيهم المرؤة والنخوة، فتاتان ضعيفتان لا تملكان من القوة ما يؤهلهما من مزاحمة الرجال والمقاتلة على مواضع السقي، وبدلا من أن يهب أحد الرجال الأشداء من أهل البلدة لنجدة الفتاتين يتوارى ويفكر في أنعامه ومصلحته فقط!! وما أكثر أشباه الرجال!! بل وأكثر من هذا يضعون الصخرة على فوهة البئر! فلا هم رحموا ولا تركوا بابا من أبواب الرحمة!

فينظر موسى الغريب المطارد الشريد، شاب أخر في مكانه يتوارى ويقول ما دخلي؟! وما ذنبي ؟! ولم أعرض نفسي للقيل والقال؟!

لكن موسى عليه السلام بالنجدة والمرؤة والشهامة التي دافع بها عن صاحبة والذى أودت به إلى أن يطرد من قصر الفرعون ويغرر به، يهم لنجده بنات شعيب!!

فيرفع الصخرة التي لا يستطيع حملها إلا الأشداء من الرجال عشرة رجال على الأقل!! ومع هذا يرفعه وحده ويسقى لهما في نبل وخلق منقطع النظير، ثم يتولى إلى

الظل ولم يستغل الفرصة ليصل إلى أي غرض، بل لجأ لمولاه وقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير!! يعترف بضعفه أمام ربه، فترسل إليه النجدة، تلك الفتاة الصالحة في كلمتين لا تزيد عليهما، إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا !

إلى هنا قضي الأمر وانتهى الكلام

يذهب موسى بكل أدب وحياء وخجل ولم يسر خلف الفتاة بل أمامها، ليضرب لنا أعظم المثل في الحياء والشهامة والرجولة، فلما أطمأن للشيخ قص عليه القص

وبكل أدب يعرض الشيخ إحدى ابنتيه، وكأنه يقول تلك الجوهرة المصونة لا تصلح أبدا لأحد من أهل تلك القرية الذميمة، إنما تصلح لهذا الشاب الأمين القوي

وما كان مهرها استغلالا من شعيب له، بل كانت تلك السنوات التي سماها القرآن حجج، حجة لشعيب أن يتبنى هذا الشاب ويجعله ولده يتوكأ عليه، فما أعظمها من علاقة، وما أعظم الحياء الذى جعل تلك الفتاة العفيفة التي لم تحتك أو تزاحم الرجال تتزوج من نبي، وما أعظم الحياء الذى هدى موسى لتلك القرية ليحقق غرضا معينا، فمن رحم المحنة تولد المنحة

وفي القرآن إشارة للحياء ورسالة لأمهات المؤمنين ولغيرهن حيث يقول الحق سبحانه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ (الأحزاب)

الإمام القشيري عندما تناول تلك الآية زيادة العقوبة على الجرم من أمارات الفضيلة، ولذا فضل حدّ الأحرار على العبيد، وتقليل ذلك من أمارات النقص، فلما كانت منزلتهن في الشرف؛ تزيد على منزلة جميع النساء ضاعف عقوبتهن!

ومعنى الخضوع بالقول أنْ يكون في قول المرأة حين تخاطب الرجال ليونة، أو تكسُّر، أو ميوعة، أو أن يكون مع القول نظرات أو اقتراب.

فإذا اضطررتُنَّ لمحادثة الرجال فاحذرْنَ هذه الصفات {فَيَطْمَعَ الذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ... } [الأحزاب: ٣٢] والمعنى: أنا لا أتهمكُنَّ، إنما الواحدة منكُنَّ لا تضمن الرجل الذي تُحدِّثه، فربما كان في قلبه رض، فلا تعطيه الفرصة.

وليس معنى عدم الخضوع بالقول أنْ تُكلِّمْنَ الناسَ بغلظة وخشونة، إنما المراد أن تكون الأمور عند حدودها؛ لذلك يقول سبحانه بعدها {وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} فلما نهى القرآن عن التصرف غير المناسب عرض البديل المناسب، وهو القول المعروف، وهو من المرأة القول المعتدل والسماع بالأذن دون أنْ تمتد عينها إلى مُحدِّثها؛ لأن ذلك ربما أطمعه فيها، وجرَّاه عليها، وهذا ما يريد الحق سبحانه أنْ يمنعه.

الحياء كله خير

عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَالْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ " (صحيح مسلم، وشعب الإيمان) فالحياء خلق رفيع وهو عند المرأة أجمل. الحياء يمنع الإنسان عن الاتصاف بالأخلاق الوضيعة وعن السمعة السيئة وعن الأقوال الفاحشة وعن كل ما لا يرضاه الطبع السوي. أما إذا فقد المرء الحياء فإنه يفعل ما يشاء من معاصٍ أو آثام أو سوء خلق ولا يخشى في ذلك لوم قريب أو بعيد، وقديما قيل إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

قَالَ الْجُنَيْدُ رحمه الله: الْحَيَاءُ رُؤْيَةُ الْآلَاءِ. وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى الْحَيَاءُ. وَحَقِيقَتُهُ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبَائِحِ. وَيَمْنَعُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ.

أي أن الحيي يرى نعم الله عليه، وستره له، وإنذاره مرات تلو مرات، وتقصيره نحو مولاه، وتفريطه فيما أولاه إياه، فيتحسر على ما فرط من عمره في جنب الله!

كان ميمون بن مهران عنده قبر في بيته، حفر قبراً في طرف بيته، وكان إذا قسا قلبه، يقول لزوجته وأولاده: تعالوا! فيدخل في القبر ويُغطي عليه القبر، ويقول لهم: كونوا قريبين لا تبتعدوا عني، فإذا صحت عليكم افزعوا إليّ، ويصبر في الظلمة وفي الوحشة وفي الضيق إلى أن تكاد روحه تطير، ثم يصيح، ويقول: {رَبِّ ارْجِعُونِ} [المؤمنون:٩٩] يقول: إذا سمعتموني أسرعوا إليّ ثم يقول: إذا سمعوا الكلمة جاءه

أولاده وفتحوا عليه قال: ها مد يدك ويطلعونه فيقول لنفسه: يا ميمون! قم واعمل صالحاً قبل أن تقول: ربي ارجعون فلا تجاب، يقول: فيقوم من قبره وهو نشيط نشاطاً عظيماً للعبادة والعمل الصالح، هذا درس عملي، على التربية والحياء من الله

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ: أَحْيُوا الْحَيَاءَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ. وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ: بِالْهَيْبَةِ وَالْحَيَاءِ. فَإِذَا ذَهَبَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَيْرٌ.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: الْحَيَاءُ وُجُودُ الْهَيْبَةِ فِي الْقَلْبِ مَعَ وَحْشَةِ مَا سَبَقَ مِنْكَ إِلَى رَبِّكَ، وَالْحُبُّ يُنْطِقُ وَالْحَيَاءُ يُسْكِتُ. وَالْخَوْفُ يُقْلِقُ.

وَقَالَ السَّرِيُّ: إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْأُنْسَ يَطْرُقَانِ الْقَلْبَ. فَإِنْ وَجَدُوا فِيهِ الزُّهْدَ وَالْوَرَعَ وَإِلَّا رَحَلَا.

وفي الأثر : «أَوْحَى اللَّهُ عز وجل إِلَى عِيسَى عليه الصلاة والسلام: عِظْ نَفْسَكَ. فَإِنِ اتَّعَظَتْ، وَإِلَّا فَاسْتَحِي مِنِّي أَنْ تَعِظَ النَّاسَ» .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشِّقْوَةِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ. وَجُمُودُ الْعَيْنِ. وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ. وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا. وَطُولُ الْأَمَلِ

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شيء إِلَاّ شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شيء إِلَاّ زَانَهُ)) (مسلم والترمذي)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَاّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) (الشيخان)

وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ (الترمذي)

قال أبو سليمان: إن العباد عملوا على أربع درجات: على الخوف، والرجاء، والتعظيم، والحياء، وأشرفهم منزلة من عمل على الحياء، لما أيقن أن الله تعالى يراه على كل حال استحيا من حسناته اكثر مما استحيا العاصون من سيئاتهم.

حق الحياء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْحَيَاءِ» فَقَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ، وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ، وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ، وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» (أحمد والترمذي)

فحق الحياء بنص الحديث يبدأ بحفظ الرأس، ومعناه كل ما علق بالرأس مثل اللسان، فأملك عليك لسانك، وكما قال مالك بن دينار: إذا رأيت قساوة في قلبك، أو وهنا في بدنك، أو حرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك.

وفي الحديث من حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيهِ (الترمذي) وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بنيّ، من رحم يرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير يغنم، ومن يفعل الشر يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم.

ومن حق الحياء أن يغض بصره ولا يطلقه على الخلق، وهذا نهج القرآن، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (النور أية ٣٠ وجزء من أية ٣١)

غُضَّ بصرك واحفَظ فَرجَك، فهو أزكى لك، وأسلم لدينك وعرضك، وعن الْحسن بن مُجَاهِدٍ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ يُورِثُ حُبَّ اللَّهِ!

وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوْسَ عَلَى الطُّرُقِ"، قَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ

مَجَالِسِنَا نتَحَدَّثُ فِيْهَا، قَالَ: "إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوْا الطَّرِيْقَ حَقَّهُ"، قَالُوْا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيْقِ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىْ، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ، وَالنَّهِيُ عَنِ الْمُنْكَرِ"

ومن حق الحياء أن يحفظ بطنه عن الحرام، فكل ما نبت من سحت فالنار أولى به، والله طيب لا يقبل إلا طيبا، ومن شروط قبول الدعوة أن يكون المطعم حلالا.

وأن يكثر من ذكر الموت، لِيَنْبَعِثَ بِهِ مِنْ قَلْبِهِ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ فيفي بتمام التوبة

كان عمر بن عبد العزيز- رضي الله عنه- يكثر من ذكر الموت، وذات يومٍ مرَّ بالمقابر، فقال: انتظروني قليلاً - فوقف الوزراء، والصلحاء، والأمراء، والناس، ونزل عن بغلته، فوقف على المقبرة، التي فيها الخلفاء من بني أمية، والتي فيها الأغنياء، وقال:

أتيت القبورَ فناديتها ... أين المعظَّم والمحتقر

تفانوا جميعًا فما مخبرٌ ... وماتوا جميعًا ومات الخبر

فيا سائلي عن أناس مضَوْا أمالَك فيما مضى معتبر

ثم وقف على طرف المقبرة وقال: يا موت، ماذا فعلت بالأحبة؟ يا موت ماذا فعلت بالأحبة؟ ثم بكى وجلس ينتحب، حتى كادت أضلاعه أن تختلف، ثم عاد إلى الناس، وقال: أتدرون ماذا قال الموت؟ قالوا: ما ندري. قال: يقول بدأت بالحدَقتين، وأكلت العينين، وفصَلت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، وفصلت القدمين من الساقين، والساقين من الركبتين، والركبتين من الفخذين.

فالعاقل يذكر لقاء ربه، ووقوفه بين يديه، وسؤال الملكين، والنعيم والجحيم، والصراط، والحساب، والمناقشة، فهل أعددنا للسؤال جوابا؟!

ومن كلام سيدنا عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا ربًّا فتتخذكم الدنيا عبيدًا. اعبروها ولا تعمروها، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة أورثت أهلها حزنًا طويلًا.

وقال الحسن يصف حال الأخيار والصالحين: رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافًا.

فمن حفظ لسانه عن الناس، ومن سلم الناس من لسانه ويده، ومن حفظ بصره وفرجه، وتحرى الحلال في طعمه وشرابه، يكون قد حقق الحياء من الله سبحانه.

ثمار الحياء:

١- الحياء من الإيمان فمن حقق الحياء حقق الإيمان.
٢- الحياء لا يأتي إلا بالخير الم تر إلى ابنة شعيب بالحياء تزوجت من موسى عليه السلام، وأمنا عائشة بالحياء أنزل الله فيها قرآنا يتلى، وأمهات المؤمنين حفظهن الله بالحياء، وتلك التي تجادل في زوجها خلد الله ذكرها لحيائها وعفتها.
٣- الحياء يصونك من المعصية، ويحفظك من غضب الرب، ويصون عرضك وولدك وأهلك.

ومن قصص الحياء

عن عائشة- رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له- وهو على تلك الحال- فتحدّث ثمّ استأذن عمر فأذن له- وهو كذلك- فتحدّث ثمّ استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه فدخل فتحدّث، فلمّا خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشّ له، ولم تباله، ثمّ دخل عمر فلم تهتشّ له ولم تباله، ثمّ دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» (صحيح مسلم)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَ اللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلَاّ وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ) (رواه أحمد والحاكم)

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: (تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء

وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال (إخ إخ). ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك خادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني) (الشيخان)

قصة عابد متعفف:

روي ابن الجوزي وغيره ويروى عن بعض العبّاد رضي الله عنه أنه قال: بينما أنا في الطريق أسير، وكنت صائما، فرأيت نهرا جاريا، فانغمست فيه، فإذا أنا بسفرجلة على وجه الماء، فأخذتها لأفطر عليها، قال: فلما أفطرت عليها ندمت، وقلت: أفطرت على ما ليس لي، فلما أصبحت سرت، فضربت على باب البستان الذي كان النهر يخرج منه، فخرج إليّ شيخ كبير، فقلت له: يا شيخ، إنه خرج من بستانكم هذا بالأمس سفرجلة، فأخذتها وأكلتها، وقد ندمت على ذلك، فعسى أن تجعلني في حل.

فقال لي: أما أنا في هذا البستان أجير، ولي فيه منذ أربعين سنة ما ذقت من فاكهته شيئا قط، وليس لي في البستان شيء. قلت: لمن هو: قال: لأخوين بالموضع الفلاني.

قال: فأتيت الموضع، فوجدت أحدهما، فقصيت عليه القصة، فقال: نصف البستان لي، وأنت حل من نصيبي في تلك السفرجلة. فقلت له: وأين أجد أخاك؟ قال: بموضع كذا وكذا، فمضيت إليه، وقصصت عليه القصة، فقال لي: والله لا أجعلك في حل إلا بشرط. فقلت: وما الشرط؟ قال: أزوّجك ابنتي وأعطيك مائة دينار. قال له العابد: ويحك أنا في شغل عن هذا. أما رأيت ما أصابني لأجل سفرجلتك؟ فاجعلني حل. فقال له: والله ما فعلت إلا بالشرط المذكور،فلما رأى العابد منه الجد، امتثل، وقال افعل، فأعطاه مائة دينار، ثم قال له: أعطني منها ما شئت مهر ابنتي، فرمى بها كلها إليه، فقال له: لا، إلا البعض. قال: فزوّجه ابنته، فلامه الناس على ذلك، وقالوا

له: خطب ابنتك أرباب الدولة وكبراء الناس، ولم تعطها لهم، فكيف أعطيتها لفقير لا مال له؟ فقال لهم: يا قوم إنما رغبت في الورع والدين، ولأن هذا الرجل من عباد الله الصالحين، رضي الله عنهم أجمعين

نسأل الله أن يخلقنا بخلق الحياء وأن يجعلنا من أحباب سيدنا رسول الله ﷺ وأن يحفظ بلادنا من كل مكروه وسوء

جمع وترتيب

خادم سيرة النبي العدنان عليه السلام، الفقير لعفو مولاه د محمد سالم الصعيدي الشافعي الأزهري